

المحور الأول:
الفكر الإسلامي في إسلام نوسنتارا:
آمال وتحديات

لطائف وإشارات من رسم المصحف الشريف دراسة تطبيقية على التاء المفتوحة والمربوطة

تصنيف : أ.د. سامي عبد الفتاح هلال

عميد كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا

مقدمة

القرآن الكريم له خصائص تميزه من غيره من الكتب السماوية؛ فضلا عما كتبه البشر بأيديهم، ومن هذه الخصائص كتابته في المصاحف بالرسم العثماني، وهذه القضية قد شغلت فكر العلماء، وحديثا حيث تناولها الكثير بالبحث والتحليل. وقد انقسم العلماء حول هذا الرسم العثماني إلى فريقين:

الفريق الأول : نظر إليه على أنه عمل بشري

الفريق الثاني : نظر إليه على أنه توقيفي، بل له خصائص تميزه عن غيره، وينبغي البحث عنها

دوافع اختيار البحث

1- الرغبة في شرف الانتماء إلى خدمة كتاب الله عز وجل؛ لأنال رضاه في يوم لا ينفع ما ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

2- محاولة استنباط بعض اللطائف والأسرار في رسم بعض الكلمات القرآنية التي خالفت الرسم الإملائي

3- من خلال تدريس هذه المادة - رسم المصحف- لطلاب كلية القرآن الكريم - حفظها الله راعية للقرآن الكريم وأهله ومعايشة قواعد رسم المصحف، وتكشف بعض اللطائف، وجدت لزاما على أن ألفت الانتباه إليها للبحث فيها، والوقوف على بعض أسرارها. فإن أصبت في ذلك فهو فضل الله تعالى، وإن كانت الأخرى فمن نفسي؛ لذلك أردت أن أنال شرف البحث في هذا الموضوع، وأنعم نظري في خط المصحف الشريف.

أهمية الموضوع:

بادئً عندما تقرأ في المصحف مع إمعان النظر تجد ألفاظا كتبت في مواضع برسم مخالف لما رسمت به في مواضع أخرى، ولا يوجد لذلك علة صرفية، أو نحوية في الكتابة، كما في قوله تعالى في سورة النحل؛ خطابا لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم:

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾

وقال تعالى في سورة النمل: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٢﴾

فالفعل : (تَكُ) رُسم في سورة النحل بغير نون، وفي سورة النمل بالنون مع ملاحظة الاتفاق في الفعل، والمخاطب فيهما احد، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمثل ذلك ينبغي على القارئ أن يقف عنده، ويعمل عقله وفكره، ويتساءل عن سبب ذلك. والأمثل على ذلك كثيرة.

أضف إلى ذلك أيضا وجود بعض الأفكار التي تدعوا إلى كتابة المصحف بالخط الإملائي المعروف؛ بدعوى التيسير على الناس، وبالتأكيد غاب عنهم ما يحمله هذا الرسم من لطائف وأسرار.

الدراسات السابقة

عندما تطالع الكتب التي تعنى بالرسم المصحفي تجد إشارات على استحياء تعلل بعض هذه الظواهر التي

خالف فيها الرسم المصحفي الرسم القياسي (الإملائي)، كما في حذف الألف من : الرَّحْمَنِ

الرَّحْمَنِ وغير ذلك.³

¹. سورة النحل الآية: (127)

². سورة النمل الآية: (70)

³. ينظر : البرهان للزركشي 379/1، كما يظهر أيضا في العصر الحديث في مقالات كثير من الكتاب والمفكرين. ينظر في ذلك جريدة المدينة المنورة في عدة مقالات للأستاذ محمد جمال حافظ وغيره، وكذا جريدة الأهرام المصرية.

وقد أفرد البناء المراكشي لذلك كتابا تحت اسم: (عنوان الدليل في مرسوم التنزيل)، ولكنه غير شاف في هذا الموضوع. ثم تطور الأمر إلى وجود بعض التعليقات في ثنايا الكتب، كما فعل الزركشي في كتابه: (البرهان)، والسيوطي في كتابه (الإتقان)

ثم ظهرت بعض الجهود حديثا للأستاذ الدكتور المطعني، حيث كتب عدة مقالات في مجلة منبر الإسلام تناول فيها كثيرا من اللطائف والأسرار، ولعله بذلك قد فتح الباب للبحث، والاستنباط. فجزاه الله عنا وعن أهل القرآن خير الجزاء.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي المقارن، وذلك بتحليل المثال الذي أعرضه، مع المقارنة بالموضع الآخر من ناحية الكتابة المصحفة، وذكر أقوال العلماء في هذا الموضوع، ثم ما يفتح الله تعالى به على في هذا الإطار، مع أنني لم أستوف كل جزئيات هذا البحث، بل طبقت ذلك على قاعدة واحدة فقط، وهي: (التاء المربوطة)، و (التاء المفتوحة)، وحاولت قدر الطاقة إعمال الفكر، وإجالاته في استنباط المعاني وكشف الخوافي. وسوف يتناول الباحث بالبحث في النقط التالية: (مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة)

التمهيد

رسم المصحف الشريف يراد به الوضع الذي ارتضاه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد خليفة المسلمين سيدنا عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه، والأصل في المكتوب أن يكون موافقا -تمام الموافقة- للمنطوق، من غير زيادة، ولا نقص، ولا تبديل، ولا تغيير. ولكن المصاحف العثمانية قد خرجت عن هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة حاء رسمها مخالفا لأصل النطق؛ وذلك لأغراض شريفة ظهرت وتظهر فيما بعد إن شاء الله تعالى؛ لذا كان لزاما أن نتحدث عن تريف الرسم؛ ليقف القارئ الكريم على الفروق التي بين الرسمين: (القياسي، و(الاصطلاحي)).

المطلب الأول: التعريف بالرسم المصحفي

تدور مادة (رسم) في معاجم اللغة العربية حول الأثر- أي: أثر الكتابة في اللفظ، أو بقية الأثر.⁴ والرسم في اصطلاح اللغويين: تصوير اللفظ بحروف هجائية، بتقدير الابتداء به والوقوف عليه؛ لتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية.⁵ أما الرسم العثماني في الاصطلاح، فهو: علم جليل تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم الإملائي، وقواعد المقررة فيه.⁶ وقال بعض أهل العلم إن المقصود به: أن يكتب القرن طبقاً للمصطلح الإملائي الذي اتبعه سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه وصحبه حين كتب مصحف الإمام في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه ووافقهم عليه. وعلى هذا: فالعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى للرسم: أن الرسم في اللغة الأثر، ورسم على كذا، بمعنى: كتب، ورسم المصحف أثر من آثار الصحابة رضوان الله عليهم كما أنه خط وكتابة.

المطلب الثاني: الخط العربي وأقسامه

ومما يلزم ذكره في هذا المقام المتعلق بالكتابة تعريف الخط؛ لأنه من أهم وسائل التعبير إيضاحاً وشمولاً، فالخط العربي شيء يعبر به عن الواقع الصوتي للغة العربية.

وعليه فتعريف الخط في اللغة هو الطريقة المستطيلة في الشئى، والطريق الخفيف في السهل.⁷ والخط في الاصطلاح له عند العلماء عدة تعريفات منها قول الجرجاني: "هو تصوير اللفظ بحروف هجائية"⁸ وعرفه البعض بقولهم: "الخط تصوير اللفظ المقصود تصويره برسم حروف هجائية لا برسم حروف أسماء هجائية فإذا قيل لك اكتب: (زيدا) فإنك تكتب بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والقف عليها".⁹ ذلك لأن

⁴. ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: (رسم) 132/15

⁵. ينظر: الشافية لابن الحاجب، ص 138

⁶. ينظر: دليل الحيران ص 31، 32

⁷. ينظر لسان العرب مادة: (خطط) 287/7

⁸. ينظر: التعريفات، ص 133

⁹. ينظر: التوقيف لى مهمات التعريف، ص 319 (بتصرف، وحق التلاوة، ص 224

الكتابة محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية، أو محاولة نقل اللغة من بعدها الزمني المنطوق إلى عد مكاني مرئي.¹⁰

أقسام الخط العربي:

لا يخف على كل ذي عينين أن أقوى عامل لإبقاء كل نفيس رسمه، وأثق مكثف بتخليد كل علم كتبه ونقشه؛ إذ إن الكتابة حرز حصين لما استودع فيها، وحافظ متين لا يخشى عليه النسيان، وضابط للقول إذا حرف اللسان، وأقرب وسيلة توصل إلى الأمم الآتية أخبار ومعارف الأمم الخالية. وقد اهتم العلماء قديما بالخطوط العربية، وقسموها على أصح الأقوال ثلاثة أقسام، قال الزركشي: "الخط ثلاثة أقسام:

1. خط يتبع به الاقتداء السلفي، وهو رسم المصحف.
2. وخط جرى على ما أثبتته اللفظ، وإسقاط ما عده وهو خط العروضيين
3. وخط جرى على العادة المعروفة وهو الذي يتكلم عليه النحوي.¹¹ لتوضيح ما أجهل الزركشي أقول:

القسم الأول : الخط الاصطلاحي، أو الإملائي:

وهو الرسم الذي وضع علماء البصرة والكوفة قواعده؛ مستمدين ذلك من المصحف العثماني، ومن علمي النحو والصرف وأصول هذا الخط خمسة:

1. تعين نفس حروف الهجاء دون أعراضها
2. عدم النقصان منها
3. عدم الزيادة عليها
4. فصل اللفظ عما قبله، مع مراعاة الملفوظ في الابتداء

¹⁰. ينظر: نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم، ص 4

¹¹. ينظر: نتيجة الإملاء، ص 5

5. فصله عما بعده مع مراعاة الملفوظ في الوقف.¹²

وهذا الخط هو الذي نستعمله في كتاباتنا العادية، ونرى فيه أنه لم تراع الموافقة التامة بين المكتوب والمنطوق.¹³

القسم الثاني: الخط العروض

وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر، واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى؛ إذ المعتد به في صنعة العروض إنما هو اللفظ؛ لأنهم يريدون به عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحركاً، وساكناً، فيكتبون التنوين نونا ساكنة، ولا يراعون حذفها في الوقف ويكتبون المدغم بحرفين، ويحذفون اللام إذا أدغمت فيما بعدها، ويعتمدون في الحرف على أجزاء التفعيل، فقد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبين الأجزاء.¹⁴

وهذا هو الخط الوحيد الذي تراعي فيه المطابق التامة بين المنطوق والمكتوب

القسم الثالث: الخط العثماني أو المصحفي

وهو الرسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن وكلماته في أثناء جمع القرآن الكريم في جميع مراحلها الكتابية التي كان آخرها في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه.

وفي هذا الخط لم تراع الموافقة التامة بين المكتوب والمنطوق؛ لأن رسمه يحتمل أكثر من صورة منطوق لعلل وحكم سيأتي الكلام عنها بإذن الله تعالى في المبحث الثالث. ومن هنا قيل : خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف وخط تقطيع العروض.¹⁵

المبحث الأول : الرسم المصحفي ضابط أساس من ضوابط قبول القراءة

من المتعارف عليه أن علماء القراءات اشتروا في صحة قبول القراءة عدة شروط، منها: موافقتها الرسم المصحفي، ولو احتمالاً، ولقد استعمل هذا المقياس في رد ما خالفه من قراءات سواء عند علماء القراءات، أم

¹². ينظر: إرشاد القراء والكتابين للمخلاتي، ص 28

¹³. كما ي: (مائة، ومانتان)، و(ثلاثمائة)، ففي الكلمات الثالث زبدت الألف كتابة بينما لا يظهر لها في النطق سوت. ينظر نتيجة الأملاء، ص 25

¹⁴. ينظر: مفتاح السعاسة 93/1

¹⁵. ينظر: البرهان للزركشي 376/1

عند غيرهم، قال الفراء: "اتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب، وقراءة القراء أحب إلى من خلافه".¹⁶

وقد صارت موافقة الرسم المصحفي أحد أركان القراءة الصحيحة،¹⁷ فما صح نقله -عن الثقات- من القراءات، ينظر إليه من خلال مقدرا دلالة الرسم عليه، فما وافقه قرئ به، وما كان خلاف ذلك اعتبر شاذاً، ولا تجوز القراءة به، لكن موافقة الرسم ليست مطلقة؛ إذا إن في كل الكتابات الأبجدية قصورا في تمثل الخط لأصوات اللغة؛ يتمثل ذلك في زيادة بعض الحروف أو نقصانها، من أجل ذلك وضع العلماء قواعد الرسم المصحفي.

المطلب الأول : التعريف بالرسم المصحفي

من ينعم النظر في كتاب الله تعالى يجد كثيرا من كلماته وافقت قواعد الرسم الإملائي المعارف عليه، إلا أن هناك كلمات قرآنية خرج عن هذا الأصل، وقد تتبعها علماء هذا الفن، وقاموا بإحصائها، وتدوينها، وأفردوا لذلك مؤلفات خاصة، كما عللوا لهذه الظاهرة، إلا أنهم اختلفوا في تسميتها، فتجد أن الإمام الرزكشي قد أوردها فلي فصول تحت عنوان: (اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه).¹⁸

وذهب الإمام السيوطي إلى تسميتها: (قواعد الرسم العثماني)،¹⁹ وقد تابعه على ذلك كثير من المؤلفين،²⁰ ومنهم من ذهب إلى خلاف ذلك.²¹ وإليك هذا القواعد إجمالا:

1. الحذف

2. الزيادة

3. الهمز

¹⁶. ينظر: معاني القرآن 293/2

¹⁷. مع ملاحظ موافقة العربية ولو بوجه

¹⁸. ينظر: البرهان للرزكشي 380/1

¹⁹. ينظر: الإتيان 147/4

²⁰. ينظر: مناهل العرفان للزرقاني 362/1

²¹. ينظر: البيان في علوم القرآن للدكتور عبد الوهاب غزلان، ص 242

4. الإبدال

5. الوصل والفصل

6. ما فيه قراءتان

المطلب الثاني: قواعد معرفة الرسم العثماني

لرسم المصحفي (العثماني) فوائد متعددة، يلا يعرف حقيقتها، ولا يدرك كنهها إلا من عايش المصحف الكريم قراءة، وكتابة، وتدبرا، ومن أهمها:

1. اتصال السند؛ إذ لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن الكريم، أو يقرئه إلا برواية متصلة السند إلی النبي صلى الله عليه وسلم؛ فمن علم قواعد العربية دون أن يتلقى القرآن على يد شيخ متصل السند، فلن يعرف قراءته على وجه الصحيح؛ إذ إن بعض ألفاظه كتبت على غير المنطوق، كما في فواتح بعض السور التي كتبت برسم الحروف لا بهيئات النطق بها، وغير ذلك. وإلا فقل لي -بريك- كيف يتوصل القارئ إلى قراءة قوله تعالى في فاتحة سورة مريم -عليها السلام- (كهيعص)، وغيرها، بدون تلقي؛ فالذي يعلم العربية والهاء ولكنه لم يتلق القرن عن شيخ متقن، وقد يروها على غير وجهها الصحيح، إذ إن النطق بها صحيحة يتوقف على التلوقي والسماء عن قراء القرآن وحافظه المشتغلين به، وعليه: فاتصال السند من خصائص القرآن الكريم بالنسبة لغيره من الكتب السماوية، وبه ظل محفوظا كما وعد الله سبحانه وتعالى، وليس يخف على كل ذي لب أن الرسم المخصوص له أعظم الأثر في اتصال السند إذ لو كانت جميع ألفاظه مكتوبة طبق النطق بها لتجرأ الكثيرون على قراءته بغير تلق، وحينئذ يفوتهم معرفة ما فيه من الطرق الأدائية، والأحكام التجويدية، وغير ذلك.
2. حفظ قلم الكاتب من الخطأ واللحن في كتابة ألفاظ القرآن الكريم وذلك بمعرفة قواعد رسم المصحف التي خالف فيها الرسم الإملائي.

3. الدلالة على الأصل في الشكل والحروف، مثل: كتابة الحركات حروفا باعتبار أصلها في نحو: وَإِيتَايِ

ذِي الْقُرْبَىٰ²² وقوله تعالى سَأُورِيكُمْ²³ وغير ذلك.

4. النص على بعض اللغات الفصيحة، مثل: كتابة (هاء التانيث) بتاء مجرورة (مبسوطة) على لغة طيء،

وكحذف ياء المضارعة لغير جازم، كما في قوله تعالى: يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ²⁴ على لغة

هزيل.

5. إفادة بعض المعاني المختلفة بالقطع الوصل في بضع الكلمات القرآنية

6. أخذ القراءة المختلفة من اللفظ المرسوم برم واحد، نحو: وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ، فلو كتبت

بإثبات الألف: (وما يخادعون) لما احتملت القراءة الأخرى.²⁵

المبحث الثاني: الرسم المصحفي بين التوقيف والاجتهاد.

هذه القضية شغلت فكر العلماء قديما وحديثا، بين مجيز ومانع، فمنهم من قال: إن الرسم العثماني واجب الاتباع، ومنهم من ذهب إلى جواز مخالفته، ولكل أدلته على ذلك، وسأعرض - بإذن الله تعالى - فيما يلي بعض أقوالهم، وأدلتهم باختصار.

أولا : القائلون بعدم توقيفية الرسم المصحفي

ذهب القائلون بهذا المذهب إلى أن الوحي عند تنزله على النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر كتابه بوضع الآيات المنزلة في مواضعها، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول "ضعوا هذه الآية بالموضع الذي يذكر فيه كذا"²⁶

²² سورة النحل: الآية 90

²³ سورة الأعراف: الآية 145

²⁴ سورة هود: الآية 105

²⁵ ينظر: سمير الطالبين ص: 22، 23.

²⁶ ينظر في ذلك: مسند الإمام أحمد 54/1، والمستدرک للحاكم 330/2

وكان سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما تولى سيدنا أبو بكر رضي الله عنه جمع القرآن الكريم كان سيدنا زيد كذلك في هذا الجمع، وكذا في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه. وفي كل ذلك لا يوجد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم كتابة المصحف على رسم معين.

وخلاصة الأدلة في ذلك ما يلي:

1. عند وجود نص في التزام الرسم العثماني.
2. عدم وقوع الإجماع على الرسم العثماني
3. عدم إحكام الكتابة، كما قاله ابن كثير، وابن خلدون
4. أمية الرسول صلى الله عليه وسلم
5. اختلاف المصاحف في كتابة بعض الكلمات.

ثانيا : القائلون بتوقيفة الرسم المصحفي

اجمع سلف هذه الأمة من لدن الصحابة رضوان الله عليهم وحتى عصر الأئمة المجتهدين على وجود اتباع رسم المصحف العثماني وحرمة مخالفته، وممن حكى ذلك الإمام أبو عمر والدايني؛ إذ يروي بإسناده إلى مصعب بن سعد، حيث قال: "أدركت الناس حين شقق عثمان رضي الله عنه المصاحف، فأعجبهم ذلك، ولم يعبه أحد".²⁷ وفي هذا دليل على رضاهم التام على ما يصنع.

وذكر الإمام أبو عمر والدايني، وابن رشد، وأبو بكر الطرطوشي: أن الإمام مالكا سئل: "هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إل على الكتابة الأولى"²⁸. وقد علق الإمام الدايني بعد أن روي هذا الأثر بقوله "ولا مخالف له ن علماء الأمة".²⁹

وقال الإمام أحمد: "يجرف مخالفة خط مصحف عثمان في واو، أو ياء، أو ألف، أو نحو ذلك" اهـ³⁰

²⁷. ينظر: المقنع، ص 18

²⁸. ينظر المقنع، ص 19، والبيان 354/18، والحوادث والبدع، ص 102

²⁹. ينظر: المقنع، ص 19

³⁰. الأدب الشرعية لابن مفلح 195/2

وجاء في حواشي المنهج في فقه الشافعية: "أن كلمة : (الربوا) تكتب بالواو والألف، كما جاء في الرسم العثماني، ولا تكتب في القرآن بالياء أو الألف لأن رسمه سنة متبعة"³¹

وجاء أيضا في كتاب المحيط البرهاني - في فقه الحنفية- ما نصه: "إنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني".³²

وقال البيهقي - في شعب الإيمان- ما نصه "من كتب مصحفا ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما، وأصدق قلبا، ولسانا، وأعظم أمانة، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم."³³

وقد استدل أيضا على توقيفية رسم المصحف الشريف بأمور منها:

1. أن القرآن الكيم كتب كله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بإملائه على كتبه رضي الله عنهم، وقد أقرهم صلى الله عليه وسلم على ذلك وتقريره صلى الله عليه وسلم أحد وجوه السنن المعروفة.
 2. إطباق القراء العشرة على إثبات الياء في قوله تعالى: (واخشوني) (البقرة، 15)، وحذفها في موضع المائدة، وغير ذلك مما خولف بين نظائر مختلفة بالحذف والإثبات والزيادة والنقصان، فلو كان الرسم بالاجتهاد لما خولف فيه بين هذه النظائر والمتشابهات.
- ولعل قائلًا يقول: هذا من تعدد كتاب الوحي؛ فإنهم لم يكونوا سواء في الحذف بالهجاء، فمن ثم نشأ هذا الاختلاف.
- وجواب ذلك: أنه لو كان الأمر على ما يزعم هؤلاء لناقش الصحابة رضوان الله عليه بعضه بعضا في هذا، ولا سيما أن الأمر يتعلق بالأصل الأول للإسلام، وكذا توفر الدواعي لحرية الرأي في هذا العصر، وعليه: فعد وجود مثل هذا دليل على غيابه بينهم.

³¹. ينظر : الفتاوى الهندية 316/5

³². ينظر : الفتاوى الهندية 316/5

³³. ينظر : شعب الإيمان 14. 15/2

3. أنه لما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار الرفيق الأعلى، كان القرآن مكتوباً في الصحف وغيرها، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على هذا الرسم وبخاصة الخلفاء الراشدون؛ إذ لم يخالف في ذلك أحد، وإجماعهم بلا شك حجة لحث الرسول على الاقتداء بهم.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية على التاء المفتوحة، والمربوطة

البعض منا قد يفهم أن الإعجاز البياني مقتصر على المعاني البلاغية، في علومها: البيان والمعاني والبديع... أبدأ. فالإعجاز البياني أوسع من ذلك، فكل إعجاز لغوي يسمى إعجازاً بيانياً، وما اصطلاح عليه العلماء بعد ذلك القرن السادس أو السابع الهجري من تقسيم علوم البلاغة إلى بيان، ومعان، وبديع تقسم متأخر؛ إذ الإعجاز البياني بالمعنى الواسع هو الذي يحه العلماء فأوضحوا ملحه.

وقد تطرق العلماء إلى بحث أنواع آخر فظهر من ذلك الإعجاز الشرعي والعلمي، والصوتي، وغير ذلك.

وقد أثر في بحثي هذا أن نتعاش مع: (لطائف وإشارات من رسم المصحف الشريف) لا سيما أي خادم لحفاظ كتاب الله تعالى الذين أشربته قلوبهم، وأنيرت به أبصارهم، وأطيلت ببركة تلاوته أعمارهم، فجمعوا بين حفظ الصدور والسطور. لذلك سيكون كلامي بإذن الله تعالى منصباً على جزئية مهمة، وهي كتابة الكلمة القرآنية بخط المصحف الشريف، وما يتعلق بذلك من سمات ودلالات.

ومن المقرر أن القرآن الكريم معجز في لفظه، ولا خلاف في ذلك بين العلماء، إذ لا يمكن أن تضع كلمة مكان أخرى، لأن لكل كلمة في موضعها معنى لا يمكن لكلمة أخرى أن تؤديه، فكل كلمة لها من الدلالة الصوتية والأدبية ما لا يمكن أن يؤديه كلمة أخرى على الإطلاق، وليس هذا إلا لكلام الله تعالى المعجز³⁴، مع أن بعض العلماء يرى خلاف ذلك ويقول بترادف بعض الألفاظ، ويرى ذلك من ثراء اللغة، فالإنسان لا يرى بعين واحدة، وإنما يرى بعينين، وهذا الرأي على خلاف وجهة نظر من يقولون بعد الترادف، ولو أردنا أن نضرب أمثلة لذلك لظال بنا الكلام. والمقام لا يسعه، لأني ما قصدت إلا التمهيد للحديث عن بعض

³⁴. هذا من وجه نظري؛ لأن البعض قد لا يرى ذلك إعجازاً

اللطائف في كتابة المصحف الشريف، وإن شئت فقل : (من خصائص الرسم العثماني لطائف وإشارات)،
وستعرج بإذن الله تعالى على بعض الأمثلة للإعجاز العام وصولاً إلى هذا الإعجاز الخاص فثني قضية شك
البعض فيها، بل شكك البعض في رسم المصحف، وسنؤكد بأن الله تعالى في هذه الأوراق على أن رسم
المصحف هو إعجاز بكل المعاني. والله من وراء القصد هو يدي السبيل.

وأبد الحديث بضرب مثال يؤكد على الإعجاز اللغوي في اللفظة القرآنية من ناحية ترادفها وعدمه، كما أشرت
إلى ذلك³⁵، ومن أمثلة ذلك كلمة (امرأة) و(زوجة)، حيث يرى البعض أن كلمة : (امرأة) تؤدي معنى كلمة
(زوجة)، إذ إنك تجد أحدهم يقول: "فلان يتكلم مع امرأته"، أو يقول: "هذه امرأتي"، وآخر يقول: "هذه
زوجتي". والبعض قد يظن أن كلمة (امرأة) تساوي كلمة : (زوجة)، في حين أن كلمة : (امرأة) لها معنى، وأن
كلمة : (زوجة) لها معنى آخر. فكلمة : (امرأة) في اللغة مأخوذة من المؤوءة، وكلمة (زوجة) مأخوذة من
المزوجة، أي: (الافتزان)، وعلماء اللغة يقولون : "إن كلمة امرأة بمعنى كلمة زوج"

وعليه فهل كلمة (امرأة) تساوي كلمة: (زوجة)؟ وهل عندما تقول : "امرأة فلان" تساوي في الدلالة كلمة:
(زوجة فلان) من حيث المعنى، والدلالة اللفظية؟ نعرف إجابة ذلك من خلال النظر في كتاب ربنا سبحانه
وتعالى.

فلو أمعنت النظر فيه لوجدت أن المرأة تختلف عن الزوج، فلكي تسمى المرأة بالزوج أو بالزوجة لابد من شرطين
اثنين أصليين.

الشرط الأول : أن توافق المرأة زوجها في عقيدة الإيمان

الشرط الثاني : أن تجنب من زوجها التي هي في عصمته.

فإذا اتفق الزوجان في الإنجاب والعقيدة تسمى المرأة زوجة، وإذا انخرم شرط من الشرطين السابقين تسمى امرأة
فقط دون زوجة.

³⁵. وأنا من الذين يقولون بعدم ترادف ألفاظ القرآن الكريم

وعلى هذا لا تسمى المرأة زوجة إلا إذا توفر فيها هذا الشرطان السابقان. وهنا يطرح السؤال نفسه: كيف نسقط هذا على كتاب الله عز وجل؟ وأين هو فيه؟

من ينظر في الكلام العربي يجد أن العرب تسمى المرأة: (زوجة)، وتسمى الزوجة: (امرأة)؛ لكن القرآن الكريم أراد أن يقول للعرب: أنتم تقولون وتستعملون في العربية ما تشاؤون، لكن استعمال الله تعالى في القرآن الكريم له دلالات أخرى، ومعان تميزه عن استعمالاتكم. صحيح أن العرب تستعمله، لكن هنا إضافة في أن القرآن الكريم فرق بين معنى: (امرأة)، و (زوج)

انظر معي -هدانا الله وإياك الصواب- إلى حديث القرآن لكريم عن (امرات نوح) و (امرات لوط) مع الإنجاب، قال تعالى: **وَنَادَى نُوحٌ³⁶ وَفِي قِصَّةِ لُوطٍ قَالَ تَعَالَى: قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ³⁷.**

إذن يوجد إنجاب، ومع ذلك سمي الله: (امرات نوح)، (امرات لوط): المرأة، ولم يسمها: زوجا، قال تعالى: **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ³⁸؛ وذلك الخلاف في العقيدة، فلم يطلق عليها (زوجة).**

وانظر أيضا إلى الحديث عن سيدنا زكريا عليه السلام، حيث قال تعالى عن ذلك: **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا ؛ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًا³⁹**، ارجع البصر إلى قوله تعالى: **وَكَانَتِ امْرَأَتِي،** وكانت: (امرأتي) ، لم يسمها: (زوجتي)، وهي زوجة نبي، وهي على الإيمان، لكن فقد شرط الإنجاب. وكذا مع (امرأة نوح) و (امرأة لوط)، حيث حدث الإنجاب، ولم يحدث الإيمان. تأمله بدقة.

³⁶. سورة هود من الآية: 42

³⁷. سورة الحجر من الآية: 71

³⁸. سورة التحريم، من الآية: 10

³⁹. سورة مريم، الأيتان 4،5

وكذا: آسية امراء فرعون، حيث قال تعالى عنها: وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ^ط

فسمها امراء فرعون⁴⁰ مع أن كتب التاريخ تروي وجو أبناء لها، فعدل عن تسميتها زوجة؛ لأنها

مؤمنة، وستكون زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة

وكذا (زليخة امرأة العزيز)، حيث قال القرآن الكريم عنها: قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ

⁴¹ لأنها لم تنجب، وأيضا عللوا ذلك بأنا ستكون زوجة سيدنا يوسف عليه السلام بعد ذلك. إذن: المرأة هنا

اختلف وصفها.

ثم ننتقل إلى واقع آخر؛ لنؤكد على أن المرأة إذا اكتمل فيها الإيمان والإنجاب سميت: (زوجة) قال تعالى:

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ⁴² ، سماها (زوجة) ولم يقل له (امرأته). وفي هذا دلالة

قاطعة على أن الكلمة القرآنية معجزة في اختيارها. ولكن الآن لم أتطرق لهذا الموضوع بالتفصيل بل سنعرض له

إذا كان في العمر بقية في بحث قادم إن شاء الله تعالى وتعرضنا له وصولا إلا قضية تشغل بال أهل القرآن

الكريم خصوصا، وغيرهم عموما.

أخي -حافظ القرآن الكريم- ألا يشغل بالك وأنت تقرأ في المصحف الشريف أنك تجد بعض ألفاظ القرآن

كتب برسم يخالف الرسم الإملائي؟. ومن المعلوم أن من خصائص الرسم الإملائي: كل ما ينطق يكتب،

وليس هذا مطردا في قواعد الرسم العثماني؛ إذ أن القرآن الكريم ألفاظا خالفت هذا الرسم الإملائي، وسنعرض

لها فيما بعد بإذن الله تعالى.

⁴⁰. سورة القصص، من الآية 9

⁴¹. سورة يوسف، من الآية 51

⁴². سورة الأنبياء، الآية 90، 89.

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الناس قد شكك في خصائص الرسم العثماني، ويقولون: إن هذا عدم علم من الصحابة رضوان الله عليهم بالكتابة، ولقلة أدواتها وأيضاً للأمية التي كانت سائدة في زمنهم. وهذا كلام لا يليق أبداً بأطهر جيل وأفضل صحبة، ولا يحق لابن خلدون ولا لغير أن يصف هؤلاء الأبطال الأبرار بعد العلم؛ لأن القرآن الكريم في كتابته جمع بين الرسمين؛ الإملائي، والعثماني. بل إن الرسم الغالب هو الرسم الإملائي، والألفاظ التي خرجت عنه قليلة، كما سبق أن أشرت إلى ذلك في بحث الرسم العثماني بين التوقيف والاجتهاد.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فقد اتضح لي من خلال هذا البحث عدة نتائج وبعض التوصيات، منها:

1. ما زال القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه؛ ومن ذلك اللطائف والإشارات في رسم مصحفه المتميز عن غيره من الرسوم العربية.
2. الرسم المصحفي شرط أساس من شروط قبول القراءة.
3. خصوصية القرآن الكريم بهذا الرسم دون غيره من الكتب.
4. للرسم المصحفي قواعد أرسى دعائمها علماء الرسم والقراءات، وغيرهم، وتم الاتفاق عليها.
5. وقوف بعض العلماء السابقين على بعض أسرار الرسم المصحفي.
6. جمهو أهل العلم على وجوب اتباع رسم المصحف الشريف.
7. اتصال السند من أهم فوائده اتباع الرسم المصحفي.
8. اهتمام العلماء برسم المصحف الشريف قديماً وحديثاً؛ يدل على ذلك كثرة المؤلفات فيه.
9. خطورة دعوى البعض بعدم الالتزام بالرسم المصحفي؛ إذ إنها تؤدي إلى ضياع بعض اللطائف والأسرار والإشارات التي يحملها هذا الرسم.
10. إلزام جميع المطابع الحديثة بطبع المصاحف التي كتبت بالرسم المصحفي دون غيره.

11. إنشاء لجنة علمية تنطلق من تحت مظلة الأزهر الشريف يكون لها الحق في مصادرة المصاحف التي قد

تطبع على غير الرسم المصحفي، مع إيقاع عقوبة مالية على من يقوم بمثل هذا.

12. عمل دورات علمية في الإعلام المرئي والمسموع حول الرسم المصحفي وفوائده ليدرك الناس أهمية هذا

العلم

والله ولي التوفيق